المؤتمر العلمي الدولي الإرث الحضاري لفزان واستشراف المستقبل

journal@fezzanu.edu.ly

كلمة الدكتور محمد الطاهر الجراري في المؤتمر العلمي الدولي
تحت عنوان (الارث الحضاري لفزان واستشراف المستقبل
الذي تنظمه جامعة فزان)

جامعـة فزان: التأصيـل والتجديـد

السادة الحضور كل باسمه وصفته السلام عليكم وإمتثالاً لقوله تعال ((وإذا حييتم بتحية فحيوا بأحسن منها أو ردوها)).

عليـه الشكر للسيد رئيس الجامعة والزميل الدكتور نصر الدين العربي ورفاقه على إدارة هذه الندوة.

السادة الحضور:

الجامعات في بلادنا هذه الأيام صارت كالكمأ أو الفقاع تولد بلا جدور . وإذا كان الباب عنوان الدار فإن جامعة تحمل اسم فزان عليها أن ترتقي لهذا الإرث التاريخي الضخم. اسماً وتراثاً مما ستستمعون إليه من زملائي الأفاضل. لهذا عندما شرفني الزملاء بدعوة الحضور احترت عن ما أتحدث عنه في هذا الزحام العلمي الزاهر الباحث عن مخرج من هذا السقوط العلمي المؤلم لهذه الأمة التي شرفها اللخ بمسؤولين القرائه والعلم. واستقريت على القاعدة الفقهيه التي تقول العقل مناط التكليف والجامعة حوصله العلم وقادحه ، وجامعة فزان ليست استثناءاً عليه فضلت أن التذكير بأصاله البحث العلمي في تراثنا الإسلامي والذي يفرض على جامعة فزان الاعتناء به مع الأصرار على تخليص مجمعها من معوقات العودة للبحث العلمي مع أتقاء محادير العولمة.

قسمت الورقة إلى:

أولاً: البحث العلمي في الإسلام.

ثانياً: جامعة فزان والأصالة.

ثالثاً: جامعة فزان ومتطلبات التجديد.

رابعاً: جامعة فزان ومحاذير العولمة.

أولاً: البحث العلمـي في الإسلام:

لابـد من الربط بين التنمية والحضارة لأن الحضارة لا تظهر إلا متى توفرت عوامل النمو، فالتنمية هي الشرط المادي للحضارة. وهذه التنمية لا تتم إلا بشروط أهمها العقيدة وحمولتها الثقافية المولدة لإرادة التقدم بالبحث العلمي النظري والعملي، وهذه أمور لا تستورد مثل الاختراعات المادية لكنها تستنهض.

فـي العقيدة الإسلامية الشرط الأول للتنمية هو البحث العلمي النظري والعملي لأن العقيدة الإسلامية تقوم على مبدأ الحق الموجود في كل الكون – حيوانه وجماده وإنسانه ﴿أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ۞ وَ إِلَى السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ۞ وَ إِلَى الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ۞ وَ إِلَى الْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ۞﴾، فالبحث العقلي المستمر والتركيب والتكوين والاختراعات هي أهم صفات المسلم وصولاً للحق الذي هو الله والذي سوف لن تعرف اعجازه إلا بالنظر في كونـه عـن طريـق التجربـة والخطـأ بالبحـث العلمـي الجـاد المشـروط بالصـلاح " الذين أمونوا وعملوا الصالحات " ، فالمجتهد أو المتفلسف كما يعرف قديماً

المؤتمر العلمي الدولي الإرث الحضاري لفزان واستشراف المستقبل

journal@fezzanu.edu.ly

يجب أن يجتهد في حدود الصالح العام وهو التعمير ملتزماً بالنظم والقواعد العامة للبحث العلمي النظري والعملي القائم على المجادلة والمناظرات العلمية العقلية " وكان الإنسان أكثر شيء جدلاً " .

فـي سورة البقرة نقرأ ((وعلم آدم الأسماء كلها ثم عرضهم على الملائكة فقال أنبئوني بأسماء هؤلاء إن كنتم صادقين ، قالوا سبحانك لا علم لنا إلا ما علمتنا إنك أنت العليم الحكيم)) هذا العجر الملائكي استكمله الإنسان المتعلم الذي زوده المعلم الأعظم بإمكانيات بدنية وعقلية جعلته قادراً على استجلاء حقيقة الله عن طريق البحث العلمي النظري والعملي في المادة التي وضعها الله بين يديه وهي الكون بحجره وحيوانه وبشره. إذا البحث العلمي هو الوسيلة لمعرفة علل الأشياء في هذا الكون أي كيفية تكوينها وبالتالي وجودها. عليه يصبح البحث العلمي النظري والعملي مستمر ودائم لمعرفة العلة الكبرى وهو الله، ولتعمير الكون في ذات الوقت. وهذه هي التعادلية والوسطية الإسلامية الجامعة لخيري الدنيا والآخرة.

يقـول ابن الهيثم:

" وجود الحق صعب والطريق إليه وعر والحقائق منغمسة في الشبهات وحسن الظن بالعلماء في طبائع البشر وما عظم الله العلماء من فراغ فطالب الحق ليس هو الناظر في كتب المتقدمين المترسل مع طبعه في حسن الظن بهم بل طلب الحق هو المتهم لظنه فيهم ..... المتتبع الحجة بالبرهان ..... والواجب على الناظر في كتب العلوم إذا كان غرضه معرفة الحقائق إن يجعل نفسه خصما لكل ما ينظر فيه..... ويجبل نفسه ويتهم أيضاً نفسه عند خصامه فلا يتحامل عليه ولا يتسامح فيه إنه إذا سلك هذه الطريق انكشفت له الحقائق" (محمد الهادي أبو ريدة – الثقافة 95، ص81–110).

ابـن سينا يعرَّف الحكمة التي لا تأتي إلا عن طرق البحث العلمي النظري والعملي بالآتي: " الحكمة استكمال النفس الإنسانية بتصور الأمور والتصديق بالحقائق النظرية والعملية على قدر الطاقة البشرية".

صدر الدين الشيرازي يعرف البحث العلمي أي الفلسفة بقوله " الفلسفة استكمال النفس الإنسانية بمعرفة حقائق الموجودات على ما هي عليه والحكم بوجودها تحقيقاً بالبراهين لا أخذاً بالظن والتقليد بقدر الوسع الإنساني وان شئت قلت: نُظم العالم نظاماً عقلياً، على حسب الطاقة البشرية ليحصل التشبه بالباري تعالي (الثقافة 95 ص99).

ابن رشد يعرف البحث العلمي أي الفلسفة بالآتي " النظر في الموجودات واعتبارها من جهة دلالاتها على الصانع " ويرى أن البحث العلمي (الفلسفة) واجب على كل إنسان وأن من يمنع الناس عن البحث العلمي (الفلسفة) المؤدية إلى المعرفة بالله إنما يبعدهم بعمله هذا عن الطريق الذي دعاهم الله بأن يسلكوه بالأمر القرآني " قل أنظر ماذا في السماوات والأرض ".

ويضيـف ابن الهيثم بأن الإنسان وحده قادر على السعادة لأنه وحده يمتلك الحكمة والحكمة عنده تبدأ بعلم حقائق الموجودات ومبادئها وعللها وأسبابها بما يحقق الطمأنينة والراحة النفسية ويتشبه بعدها في أفعاله بالله تعالي. ويعرف الحكمة بالآتي " الحكمة هي التشبه بالله وذكره في أفعاله بمبلغ طاقة البشر " الثقافة 95 ص 100".

أما تعريف الكندي للبحث العلمي فهو:

" إن في الظاهرات للحواس لأوضح دلالة على تدبير مدبر .... وفاعلاً لكل فعل .... وعلة لكل علة"، وعلى المخلوق البشري البحث المستمر للوصول لعلل المخلوقات حتى يتبين له الحق الذي هو الله.

المؤتمر العلمي الدولي الإرث الحضاري لفزان واستشراف المستقبل

journal@fezzanu.edu.ly

أما الفرابي فإنه يزكي فكرة إثبات وجود الله أي الحق عن طريق البحث العلمي والتأمل التحليلي للوجود وبالنظر في العالم الذي نشاهده فيقول "لك أن تلحظ عالم الخلق فترى فيه أمارات الصنعة ولك أن تعرض عنه وتلحظ عالم الوجود المحض وتعلم أنه لا بد من وجود خالق، يستوجب الجهد المعرفي المتواصل لتعمير الكون وبالتالي الخضوع والتسليم بعظمته ".

وبما أن الحق هو كل الموجود فإن (البحث العلمي) يكون في كل الكون بحثاً عن الحق الأول، وليست الغاية من البحث (العلمي) هي التعرف على الحق المباشر فقط ولكن الهدف هو الحق الأعلى الذي هو الله.

ابن الهيثم: المتوفي سنة 432هـ يعرف البحث العلمي النظري والعلمي بالآتي " الحكمة هي علم كل حق وعمل كل نافع " وهذا هو شرط المعرفة في الإسلام اقتران العلم بالعمل النافع " يا أيها الذين أمنوا لم تقولون مالا تفعلون كبر مقتاً عند الله أن تقولوا مالا تفعلوا " فالعلم بلا عمل لا قيمة له والنية لا تتم إلا بالعمل كما

أن العمل لا يصح إلا بالنية " أنما الأعمال بالنيات " ، فالأفكار والخيالات الغير متبوعة بأعمال وتطبيق هي معادلة غير محمودة عند الله وخلقه حتى وأن كانت شعراً " ألم ترى أنهم في كل واد يهيمون ويقولون مالا يفعلون " فالتجربة والخطأ والعمل الصالح هي أساس المعرفة الإسلامية.

والرسول يؤكد بأن تطبيق الأفكار أي العلم على الواقع صدقة للاستفادة منه في الحياة اليومية وتطبيقه وتسخيره لخدم الناس ونشره بينهم فيقول " تعلموا العلم فإن تعلمه حسنة ودراسته تسبيح والبحث عنه

جهاد وطلبه عبادة وتعليمه وبذله لأهله صدقة ". عليه فتعليم العلم صدقة وتعمير الكون بالآراء والاختراعات التي تيسر الحياة وبذلها للناس صدقة لأنها ستؤذي لتوضيح صنع الباري عز وجل.

أخوان الصفا: يرون أن الحكمة أي الفلسفة أي البحث العلمي ثلاثة مراحل يبدأ بحب العلم ثم يليها معرفة حقائق الموجودات بحسب الطاقة البشرية وآخر درجاتها هو اقتران القول بالعمل " حتى لا يكونوا من الهائمين الحالمين ويقولون مالا يفعلون ".

هــذا هو شرط المعرفة في الإسلام اقتران القول بالعمل في المعامل والمختبرات ومراكز البحوث العلمية.

هــذه هي الازدواجية المطلوبة، العمل الدائم بلا انقطاع لتحقيق خير الدنيا والآخرة فالعمل لتعمير الأرض وكل الكون بالبحث العلمي هو الواجب الذي لأجله تم النزول من الجنة إلى الأرض وهو الوظيفة التي خلق الله الإنسان لها وزوده بالإمكانيات العقلية والجسدية لإنجاز المهمة.

ثانياً: الجامعــة والاصالــة:

ويتلخص موضوع الأصالة في الإحاطة الكاملة بما سبق ونقده وتحليله ثم التشجيع على الاتيان بجديد أو بديل أحسن منه.

الاصالـة ليست شعور حالم بثرات الأمة لكنه جهد فكري وعضلي يسعى لاستيعاب هذا التراث وهضمه عن طريق تحليله وحتى فكه وتركيبه والحذف منه والاضافة إليه في عملية دائمة ومتجدده يتخاطفها جيل عن جيل.

لابد من التأكيد على غرس القناعة بأن الخير كل الخير يكمن في الأصالة في كل المجالات: الأكل اللباس – البناء – الأدب – القيم الجمالية والأخلاقية وغيرها كل هذه أساسية لسلامة التكوين النفسي لأي جماعة وصحيه لأنها ستؤذي إلى تنوع نافع كما يقول ابن الهيثم: –

" الحكمة علم كل حق وعمل كل نافع "

المؤتمر العلمي الدولي الإرث الحضاري لفزان واستشراف المستقبل

journal@fezzanu.edu.ly

ثالثاً: الجامعة ومتطلبات التجديد:

لابد أولاً من التأكيد والاعتراف بأن التطور أمر تفرضه طبيعة الحركة التاريخية ولابد من التأكيد أيضاً بأن الالفية الثالثة هي ألفية ما بعد الكهرباء والتكنولوجيا وما قد يفوق التصور ويؤذي للهلاك إذا لم نلتزم كشرقيين مسلمين بتلازم التطور بالصلاح والحرص على النافع ورفض الضار.

استيراد التكنولوجيا يجب أن يسبقه تعميق مفاهيمها وإيجاد البيئة العقلية والنفسية والمادية الملائمة لها وإلا فإنها ضرب من التضليل تنتهي بمجرد الوقوف من سرير النوم. العصرنة عن طريق استيراد الميكنة هو ضجيج الات حول الآف الغاطين في سبات عميق في اغلال الجهل والامية، هو تماماً مثل الذي يتصور أنه وصل القمر لمجرد لبس برزة رواد الفضاء أو ركب لعبة صاروخ بمدينة ألعاب.

عليه لابد من الإصرار على توجيه العقل الفردي والجمعي نحو تنمية المحيط والعمل الجاد للسيطرة عليه بالعلم والتكنولوجيا، نحن بحاجة إلى الابداع والبدع المنطلقة من الحق والهادفة للنفع. لكن هذا الإصرار على الابداع يختلف من شخص لأخر وفقاً لقدراته العقلية ووفقاً للإطار الثقافي الذي يعيش فيه فلكل ثقافة تصورها الخاص للكون والإنسان والانتقال من محيط لآخر يتطلب معالجة وتهيئة للتربة لتوطين الجديد فيها.

والقول بتوطين التكنولوجيا، التي هي امتداد لعمل الحواس، في الإسلام وكأنها غريبه عليه، هي مقولة كبيرة عندي على الإسلام، فالإنسان الذي أحضر العرش من سبأ إلى فلسطين زمن سليمان لم يحضره بالسحر ولكن بقوة الكتاب وقد تحقق معظمه الآن عمليا بالتكنولوجيا عن طريق الكتاب، ولعل في هذه الإشارة في القرآن الكريم تحفيز للإنسان للأبداع والارتقاء في معارج العلم عبر ما تسمى الآن بالتكنولوجيا. إلا أن أمة اقرأ مشكلتها أنها لا تقرأ، وبالتالي لا تبدع بسبب تقاعسها عن القراءة وبالتالي العلم الذي هو في حدود امكاناتها البشرية والذي يمكن الوصول إليه عن طريق الكتاب والقراءة. إذا لا تعارضن بين الإسلام والتقنية النافعة بكل أشكالها ويكفي ما ذكرناه من حوافز على البحث العلمي والتكنولوجيا في الصفحات السابقة وهي خير دليل على إصرار الإسلام على النظر العقلي في الموجودات من أجل الوصول إلى الحقائق الكونية والطبيعية وحتى الإلهية كما يقول ابن رشد رحمه الله.

وعنـدي ما نحتاجه أكثر الآن هو العمل الجاد والمرهق للانتقال من مجتمع القبيلة أو الزراعة للعلم والتكنولوجيا بطريقه مدروسة ومبرمجه حتى لا يحدث الخلل في كينونتنا الاجتماعية فمثلاً في مجتمع الصناعة يُعتمد أساساً على تقدير الفرد لذاته لا على قبيلته أو عشيرته أو مكانته الاجتماعية أو الأسرية. وهذا يفسر التفريط في العمل وعدم الالتزام الوظيفي والتقيد بالمسؤولية لأن الفرد يعتمد في تقديره لذاته لا على جهده

الشخص ولكن على تراثه القبلي والأسرى. بينما في المجتمع الصناعي تتكسر هذه العلاقات وتستبدل بعلاقات مهنية.

صحيـح أن مجهودات الإنسان في المجتمعات العربية الإسلامية قائمة على الفردية لكنها فردية مرتبطة بقيم الدفاع عن الأسرة والقبيله وعلاقات الدم والثأر بينما هي في المجتمع الصناعي المصنع هو الأسرة. والفردية هنا تقوم على الابداع في المصنع ولأجله لا للأسرة أو القبيله. عدم تحمل المسؤولية في المصنع ستؤذي إلى ارباك تام للمصنع وبالتالي النتيجة طرد الفرد المقصر وهذا عمل يسعد أسرة المصنع لكنه في التراث التقليدي المبني على الأسرة والقبيلة التقصير يُغتفر ويمكن أن يجبر لأن الفرد جزء من تراث يعتمد على قيم التسامح والترابط الاسري وأخلاق العفو وغيره. لكن المطلوب الآن هو الولاء من الأسرة والقبيلة إلى

المؤتمر العلمي الدولي الإرث الحضاري لفزان واستشراف المستقبل

journal@fezzanu.edu.ly

المصنع والمدينة أي الوطن أي الوطن المقام به المصنع. وهذه نقله نوعيه صعبه وواسعة تحتاج لإعداد وتهيئة وهي أحدى شروط توطين المخلوق التكنولوجي الذي نريده ولكن بتكييف مع تراثنا الاسري والقبلي والاجتماعي قدر المستطاع.

هذه النقلة من المجتمع التقليدي إلى المجتمع الصناعي ستحدث إضطراباً في العقلية ما لم نخطط لها باستراتيجية تعليميه واضحة تغير مفهوم الانتماء والولاء من القبيلة والعشيرة والمنطقة إلى الوطن مع بقاء الأسرة والقبيلة ظواهر اجتماعية مقدره لكن مقصوره في حدود العلاقات الاجتماعية. وإذا عجزنا في ذلك فلا أقل من وضع استراتيجيه تنظم العلاقة بين هذه الولاءات وترتبتها ترتيباً تصاعدياً يشتشعر الفرد فيه بذنب وعار التقصير في واجبه الوظيفي في الإدارة والمصنع والوطن مواز لشعوره بالذنب والعار العرقي السائد في الثقافة القبلية السائدة في الكثير من نواحي حياتنا الآن.

رابعاً: الجامعة ومحادير العولمة:

منظومة الفكر الغربي مبنية على العقل الاستقصائي أو التفكيكى INQUISITIVE MIND الذي لا يقنع بالجديد الا بالجديد. ونحن أيضاً مأمورون بالتجديد " قل انظروا ماذا في السماوات والأرض "

لكن في الإسلام الالتزام كامل بين التعمير أي التجديد والصلاح كما استعرضنا في الفلسفات الإسلامية. في الإسلام أي تجديد يضر البشر والحجر والبيئة ممنوع ومحرم تحقيقاً.تحقيقاً لقوله تعالى ((الذين أمنوا وعملوا الصالحات)). العالم الذي يقوده الفكر الغربي حالياً مبنى على الربح المادي فقط بغض النظر عن الضرر الذي يلحقه الفاعل بالقيم الإنسانية والأخلاق.

وأحسن من عبر عن ذلك الرئيس الأمريكي ترامب الذي قال بأنه في أي صراع لا تهم القيم والأخلاق المهم الغالب والغلبة بأي صورة تمت.

وهذه هي نفس الفلسفة البرجمائية الأوربية التي انهت أقوام أمريكا وأستراليا ونيوزلندا وغيرها كثير وستنهينا جميعا في منطقتنا إذا لم ندرك خطورة التمسك المتطرف بالجهوية والقبلية والعنصرية والمذهبية على حساب الأوطان والوطنية. وفلسطين خير شاهد وهي البداية فقط وسيتم كل ذلك تحت شعار الديمقراطيه وحقوق الإنسان والتي هي شعارات براقة وضعت فقط للغلبة والسيطرة.

وختاماً أوصي بأن يسود جامعة فزان النظر العقلي المستمر لكن ليس على قاعدة التنافس المدمر ولكن على قاعدة التعاون والدفع بالذي هو الحق .

والســـــلام عليكـــــم،،،،

أ.د.محمد الطاهر الجراري

رئيس مجلس إدارة المركز